أثر العلاقات المغربية السودانية على التركيبة الديموغرافية للسودان

د. إقبال محمد أحمد ورَّاق*

المستخلص :

تَعُود الصـــِّلات والرَّوابط بين السُّودان والمغرِب لعهد السلطنة الزرقاء في السُّودان، والتي استقرَّ لها الحُكم في السُودان خلال خمسة قرون بدءاً من القرن الخامس عشر[1]، وبدأت الرَّوابط بهجرات المغاربة من بلادهم إلى الحج لبيت الله عبر السودان، واستقرَّ العديد منهم في السودان في طريق عودته رغبة في الاقتراب من الأراضي المقدَّسة والحج إليها كل عام، وتتمحور أهمية الدراسة في معرفة التركيبة السُكانية وأثرها في التطور الاجتماعي والحضاري بين السُّودان والمغرِب ومعرفة الامتيازات التي يحصل عليها المغاربة من قبل ملوك السُّودان، ولذلك هدفت الدِّراسة لفهم الظاهرات السُّكانية في ضوء البناء الاجتماعي للمجتمع وذلك من خلال الربط بين العلاقات الاجتماعية المغربية والتركيب المجتمعي المتمثل في السكان لبيان التركيبة السودانية المغربية ودورها في الحياة الاجتماعية والثقافية، وتوضيح جوانب التغيير الذي حدث في التركيبة السودانية وانعكاسته على التركيبة السكانية، تتقاطع "الديموغرافية التاريخية" مع "الديموغرافية" من حيث المنهج والموضوع، فهي تنقل المنهج الديمغرافي وتحاول تطبيقه في دراسَة التَّاريخ الدِيمغرافِي لساكنة معينة في تاريخ مُعيَّن، إلا أنَّ الاختِلاف الأساسي بين التّخصصين، هو كَون الديموغرافية التاريخية تدرس الخصائص الديمغرافية للسكان

*أستاذ مساعد – جامعة الرباط الوطني.

1] حبيدة محمد، الديموغرافية التاريخية من الإجرائية الكمية إلى المقاربة الكيفية وجد، الديمغرافيا في تاريخ المغرب،مجلة كنانيش (مجلة متخصصة في الديمغرافيا التاريخية)، إعداد مصطفى نشاط ومحمد استيتو، العدد الأول /1999، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الأول . ص11.

وترصد تغيراتها في تاريخ الزَّمن الماضي، وهنا تختلِف مصادرها وتقنياتها ومناهجها بالضَّرورة عن متيلاتِها في الدراسة الديمغرافية الآنية. وسوف تقوم الدراسة باتِّباع المنهج التاريخي مع استخدام أسلوب الوصف والتحليل للوصول للحقيقة العلمية الموثقة تاريخياً، وقد أوصت الدراسة بوضع مُؤشرات يمكن أن يُستفاد منها في الواقع السوداني الحالي بغرض النهوض بالأمة السودانية في العلاقات الدبلوماسية، الاستفادة من الإرث الثقافي وأخذ كل الايجابيات وعكسها على المجتمع السوداني وتوسِيع العَلاقات الاقتصادِية والتَّعاون الدُّولي المشترك بين الدولتين لتعزيز شراكة تطمح لترقية المستوي.

Abstract:

The links between Sudan and Morocco refer to the Blue Sultanate in Sudan, which settled in Sudan for five centuries, starting from the fifteenth century to travel in the Holy Land and pilgrimage every year. The importance of the study to know the structure of the population and its impact on the social and cultural development between Sudan and Morocco to define the knowledge of the Maghreb privileges, which obtained by kings of Sudan, therefore the study aimed to understanding the phenomena of population in the light of construction Social society through linking the Moroccan social relations with the societal structure represented by the population to show the Sudanese structure and its role in the social and cultural life and clarify the aspects of the change that took place in Sudanese structure and its reflection on the demographic structure. The "historical demographics" intersect with "demographic" in terms of curriculum and subject, It moves the demographic approach and tries to apply it in the study of the demographic history of a certain population in a particular date, but the fundamental difference between the two specialties is the historical demography examines the demographic characteristics of the

population and monitors the change, The study will follow the historical approach using the method of description and analysis to reach the scientifically documented fact by relying on the primary sources of this important historical period. The study is recommended to contribute to the development of indicators that can be used in the current Sudanese reality for the purpose of promoting the Sudanese nation in diplomatic relations to benefit from the cultural heritage and take all the pros and vice versa on the Sudanese society and the expansion of economic relations and international cooperation between two countries to promote a partnership aspiring to upgrade the level.

المقدمة:

يبدو أن التاريخ سيظل يذكر للمغرب والمغاربة حضورهم القوي في مختلف البلاد الإسلامية، عبر التاريخ، بحيث امتد تواجدهم إلى أقاصي الأرض، في زمن لم تكن به وسائل التنقل غير التي نعيشها اليوم؛ إلا أن ذلك لم يحل دون الإنسان المغربي ورغبته في تبليغ رسالة علم وحب وسلام بعدد من دول المعمورة، وهو ما جعل بلدا كالسودان يحتضن تجمعا سكانيا مهما (قبيلة) تحمل اسم المغاربة.

ومن خلال تواجد بعض الجاليات في بعض الدول هذا لا يدعو إلى كثير من الاستغراب، لكن أن يصبح تواجد جالية معينة في شكل قبيلة بالدولة المضيفة، فهذا ما يدعو، ليس فقط إلى الاستغراب، لكن إلى عديد من الأسئلة التي تجعل مغاربة هاجروا إلى بلاد السودان يستطيعون تأسيس قبيلة خاصة بهم، ويصبحون سودانيين بدم مغربي.[1]

1 مسارات للرصد والدراسات الاستشرافية ، نورالدين اليزيد، قبيلة المغاربة..القبيلة الوحيدة بالسودان التي تُنسب لأصول أهلها، Html .قبيلة- المغاربة - بالسودان .2012www.massarate.ma/

عرفت العلاقات السودانية المغربية تطوراً كبيراً وازدهاراً على مر العصور وفي شتى المجالات، ولم تقف الحواجز الطبيعية حائلاً دون الاختلاط الفكري والسياسي والثقافي والديني بين شمال الصحراء وجنوبها، وهذا يعني سهولة نقل النظم من مكان إلى مكان آخر خاصة في ميادين السياسة والإدارة وتنظيم الجيوش وتسييرها، إلا أن هذه الروابط عكر صفوها لفترة من الزمن توتر سياسي بين الشمال في عهد حكم الأشراف السعديين للمغرب، والجنوب في عهد حكم الأساكي بسبب الصراع على مناجم الذهب في السودان الغربي[1].

الأهداف:

- فهم الظاهرات السكانية في ضوء البناء الاجتماعي للمجتمع وذلك من خلال الربط بين العلاقات الاجتماعية المغربية والتركيب المجتمعي المتمثل في السكان.
- بيان التركيبه السودانية المغربية.
- جوانب التغيير الذي حدث في التركيبة السودانية نتيجة الاختلاط مع المغاربة.
- التعرف على التركيب' الديموغرافية المغربية ودورها في السودان ودورها في الحياة الاجتماعية والثقافية.
- التواصل الثقافي والاجتماعي السوداني وانعكاساته على الثقافة السودانية.

الأهميـــــــة:

- معرفه العنصر الحاسم الذي أثر في التطور الاجتماعي والحضاري بين السودان والمغرب.

1(**عبد الرحمن قدوري ــ قسم التاريخ جامعة تلمسان** ، علاقات السياسية المغربية مع بلاد السودان الغربي في القرنين 15و16م، 11:39:20 2012 11 Jul)

- معرفه الامتيازات التي يحصل عليها المغاربة من قبل ملوك السودان.

الفرضيـــــــة:

- هنالك دلالة تاريخية بين السودان والمغرب ارتبطت بالعلاقات الاقتصادية.
- استقرار المغاربة اثر علي التركيبة الديموغرافية في السودان.
- اثر التواصل المغربي في النواحي الثقافية والاجتماعية في السودان.

المحور الأول:تاريخ العلاقات بين المغرب والسودان:

المقدمة:

من المؤكد الآن أن الروابط والصلات التجارية بين السودان الغربي وبلاد المغرب روابط تجارية تعود إلى أزمنة تاريخية قديمة. فقد كانت قوافل قرطاجة تقطع الصحراء لجلب الذهب والعبيد والعاج مقابل المنسوجات والنحاس والأدوات المصنعة. وظل هذا التبادل قائما في العهدين اليوناني والروماني ثم البيزنطي.

وبعد الفتح الإسلامي للمغرب، تولى سكان المغرب تأمين أسواق السودان الكبرى وعملوا على تنظيم المواصلات مع هذه البلاد على أساس تجاري أولا، ما فتئ يتوطد عبر الفترات التاريخية اللاحقة، حاملا معه مجموعة من التنظيمات الاجتماعية والدينية والحضرية[1].

أولاً: العلاقات السودانية مع الدولة المرينية (668-961هـ/ 1258-1420م):

لقد تمسك ملوك بني مرين فيما يتعلق بالممالك الإفريقية جنوب الصحراء بعلاقات الود والإخاء التي ربطتهم كمسلمين بتلك الممالك، خاصة في ظل وجود مملكة قوية في الجنوب هي مملكة مالي، بل في أوج عظمتها في عهدي المنسا موسى ثم المنسا سليمان .

1(أحمد الشكري، »مقارنة تقييمية لدور الصحراء في علاقات بلاد المغرب ببلاد السودان خلال العصر الوسيط«، مجلة المناهل (المغرب)، عدد 58، مارس 1998، ص ص. 62 ــ 71)

وإذا كانت شهرة المنسا موسى قد طبقت الآفاق في السودان إثر رحلته إلى الحج وما نتج عنها، فإن اسم جاره السلطان المريني أبي الحسن قد دوت عبر أطراف إفريقيا والأندلس، ولهذا فقد كان من الطبيعي أن تنشأ بين المملكتين علاقات قائمة على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة. وجاءت أول إشارة للعلاقات السياسية بين بني مرين ومالي خلال عهد السلطان أبي الحسن المريني، حين أرسل إليه سلطان مالي منسا موسى سفارة بها أحد رجال البلاط المالي ومعه أحد المترجمين من الملثمين من صنهاجة، وكان الهدف منها تهنئة سلطان المغرب على انتصاره واستيلائه على تلمسان.

وقد بالغ السلطان أبو الحسن في استقبال الوفد المالي والاحتفاء به، ورد على هذه السفارة، بسفارة كبيرة ظهرت فيها أبهة السلطان المريني حيث تضمنت هدايا كثيرة إلى السلطان المالي، وقد وصلت هذه السفارة إلى مالي في عهد منسا سليمان بن منسا موسى، الذي كان قد توفي منذ قليل. وبعد وفاة السلطان أبي الحسن استمرت العلاقة الطيبة بين المملكتين، وكان تبادل الهدايا والسفارات بين البلاطين أمراً يحظى باهتمام سلاطين الدولتين، فكان منسا سليمان قبل وفاة السلطان أبي الحسن قد أرسل هدية نفيسة إليه، ولكنها اختزنت في الطريق إلى المغرب بسبب وفاة مرسلها منسا سليمان، وظلت على هذه الحال حتى تولى ملك مالي منسا زاطة، فأمر بإرسال الهدية على الفور إلى السلطان أبي سالم المريني، وضم إلى الهدية حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل، وكان يوم وصولها يوماً مشهوداً، وأنشد الشعراء قصائدهم في ذلك.

وصاحب هذه العلاقات السياسية الودية انتقال بعض المؤثرات والتنظيمات الإدارية المرينية إلى دولة مالي، فكان بهذه الدولة الوزراء والقضاة والكتاب والدواوين، والجيش الذي وصل عدد الجند به إلى مائة ألف رجل. أما العلاقات الاقتصادية

والتجارية بين الدولتين فلابد وأنها سبقت العلاقات الدبلوماسية بأمد بعيد، والمعروف أنها بدأت على المستوى الرسمي بين الدولتين في عهد منسا موسى.

ومن المعروف أن ابن بطوطة قام بزيارة إلى مالي برغبة من السلطان أبي عنان المريني، ويرى بعض الدارسين أن الهدف الحقيقي وراء هذه الرحلة هو القيام بدراسة عملية للطرق والمسالك التجارية بين مالي والدولة المرينية، والوقوف على الحجم الحقيقي لتجارة الذهب بين مالي ومصر، وذلك للعمل على تحويلها ما أمكن إلى البلاد المرينية .

أما العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية وبلاد السودان الغربي، فهي علاقة قديمة تمتد جذورها إلى قرون عديدة، وقد حمل التجار العبء الأكبر في إيصال المؤثرات الثقافية الأولى لهذه البقاع، وسرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار وساروا معهم أو وراءهم ينشرون الإسلام، ومعه يبثون العلم العربي والثقافة العربية الإسلامية، حتى أن منسا موسى نفسه أصبح يجيد اللغة العربية ويلم بكثير من ألوان الثقافة العربية الإسلامية.

ثانياً: العلاقات السودانية مع الدولة الوطاسية (876-961هـ/1471-1553م):

بالرغم من أن فترة حكم الوطاسيين كانت قصيرة، وعرفت كثيراً من المشاكل والاضطرابات، فإنهم ظلوا على صلة وثيقة بممالك السودان الغربي، فقد أرسل ملك فاس محمد الوطاسي المعروف بالبرتغـــالي (1505-1524م) سفارة إلى مملكة سنغاي وبالذات إلى تنبكت في بداية القرن العاشر الهجري، حيث مثلت أمام الأسكيا محمد توري الكبير(1493-1528م) رأس أسرة الأسكيين، وكانت برئاسة أحد أعمام الحسن بن محمد الوزان الذي كان برفقته، وهو ما يزال في مقتبل العمر .

وكان مرور السفارة عن طريق درعة، وظلت سجلماسة حتى ذلك الوقت مركزاً تجارياً عظيماً يتبادل فيها التجار البضائع مع مصر والسودان .

ثالثاً: العلاقات السودانية مع دولة الأشراف السعديين (915-1069هـ/1510-1658م):

تميزت العلاقات بين سلاطين السعديين وملوك السودان الغربي(الأساكي) بالتوتر والفتور في كثير من الأحيان، وتعتمد على الغرض والمنفعة وتحقيق مصالح استغلالية مغربية في السودان الغربي، فمنذ ظهور السعديين (916هـ/1510م)، وقيام دولتهم بالمغرب، سعوا إلى البحث عن موارد ثابتة، تمكنهم من توطيد أقدامهم، وتساعدهم على تطوير الاقتصاد المغربي لما فيه رفاهية البلاد وازدهارها خاصة في ظل الضائقة المالية التي عانوا منها نتيجة حروبهم المتواصلة مع أعدائهم . فتوجه السعديون بأنظارهم إلى ثروات السودان الغربي من الذهب والرقيق، وقد ركزوا على مناجم الملح في تغازا، والذي تعتمد عليه سائر بلاد السودان.

وبالفعل فقد أرسل السلطان محمد الأعرج ثاني السلاطين السعديين إلى الأسكيا إسحاق الأول في عام (933هـ/1526م)، يطلب منه تسليم معدن تغازا، وكرر هذا الطلب السلطان محمد الشيخ خليفة الأعرج في عام (951هـ/1544م) بشأن التنازل عن نفس المعدن.

وانتهى الأمر بين الطرفين بغزو منطقة السودان الغربي على يد السلطان أحمد المنصور الذهبي والقضاء على دولة صنغاي، في ظل ظروف داخلية وتحديات خارجية فرضت نفسها على المغرب وتوجهاته السياسية والاقتصادية[1].

رابعاً: مناطق المغاربة في السودان:

يوجد المنتسبون لقبيلة المغاربة بكثرة في شمال منطقة "المناقل"، التي تسمى منطقة غرب الجزيرة، حيث تنتشر القبيلة في 36 قرية. كما يوجد بعضاً منهم في ود مدني، ثاني حواضر السودان، ومنتشرون في قرى تقع في منطقة الجزيرة من

1عبد الرحمن قدوري ــ مرجع سابق، ص 15.

قبيل قرية (كعويرة)، بالإضافة إلى قرية تسمى "المغاربة"، مما يدل على أنهم كلهم مغاربة، بمعنى أن انتشارها شمل حيزا جغرافيا صغيرا؛ إذ قلما تجد أفرادا من القبيلة وسط أو غرب أو جنوب البلاد، خلافا للقبائل الأخرى المنتشرة بمختلف أرجاء السودان.

أما المعاقل الحقيقية لقبيلة المغاربة بالسودان، فتأتي في مقدمتها قرية "الشيخ الأمين ولد بلة" (حوالي80 كلم شرق الخرطوم)، التي تحمل اسم أحد أحفاد الشيخ أحمد زروق أبو المغاربة السودانيين، دفين مدينة مصراتة على الحدود الليبية ــ المصرية، فضلا عن قرى أخرى مثل سوبا الشرقية ودار السلام والهلالية (شرق النيل باتجاه الجنوب)، وتبقى قرية (محراز) من بين أكبر هذه المعاقل.

وإذا كان عدد القبائل في السودان يفوق الـــ600، فإن قبيلة المغاربة هي الوحيدة على الإطلاق التي تحمل اسم الجهة أو البلاد التي أتت منها، وهو معطى لا تنعم به قبائل أخرى تحمل أسماء عادية كقبيلة الكواهلة والعركيين والرفاعة والشكرية، بحيث تنفرد "قبيلة المغاربة"، بالاحتفاظ باسم الجهة التي قدمت منها.

ورغم أنها من القبائل المتوسطة في السودان، لا يتعدى عدد أفرادها مليون نسمة على أبعد تقدير، كما يقول كامل عبد الماجد، فإن قبيلة المغاربة، التي ظلت منحصرة في مساحة ضيقة، بقيت منفتحة على محيطها المباشر وتفاعلت معه وأنجبت العديد من الرموز الذين أثروا في حياة أهل السودان، بمن فيهم السفراء والوزراء والأساتذة الجامعيون، خاصة أن أبناءها ارتادوا التعليم النظامي من مدارس وجامعات منذ انطلاقه بالسودان.

ويؤكد السودانيون أن الاستقبال الذي تخصصه هذه القبيلة لأهل المغرب حينما يزورون السودان يكون حارا، حيث تمتزج فيه حرارة اللقاء بالتكبير والتهليل، ويعم الفرح والحب كلما ذُكر اسم المغرب فتُقام طقوس الكرم والاستقبال وحسن الوفادة

من نصب للخيام الضخمة وذبائح وقرع على طبل "النحاس"، الذي لا يستعمل إلا في مناسبات خاصة مثل قدوم ضيف عزيز، أو عودة شيخ القبيلة سالما من مهمة.

المحور الثاني: تأثير المغاربة علي التركيبة الديموغرافية في السودان:

أولاً: أقسام القبائل:

كانت المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى المطلة على المحيط الأطلسي عند انتشار الإسلام في المغرب تحت نفوذ مملكة غانة التي قال عنها ابن خلدون:

"ولما فتحت إفريقيةٍ المغرب، ودخل التجار بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم (السودان) أعظم من ملوك غانة، كانوا مجاورون للبحر المحيط من ناحية الغرب، وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك1".

هؤلاء هم المغاربة المهاجرون، والذين استقروا بالسودان وكونوا ما يسمى حاليا بقبائل المغاربة الذين استوطنوا السودان في كافة أرجائه خاصة في المناطق الواقعة بين الخرطوم وأرض الجزيرة، وانقسموا إلى قبائل وفروع وأفخاذ وبطون أفخاذ وأصبحوا يكونون جزءاً من النسيج الاجتماعي السوداني.

وفروع المغاربة في السودان معروفون بالحسوباب، والكراديس، والجدياب، والفضلاب، والعبيدات، والكريشاب، والنوراب، والدييباب، والردوساب، والمقيلاب، والبيضاب، والتاياب، والكوقلاب، والزراعاب، والعبليين، والحسناب، والجباراب، واللقاماب، والشوشاب والعاتياب وهم موزعون فى شرق الخرطوم. والكبيدلاب، والدريساب، والحسوباب، والعقرباب، والعوضلاب.

وفي أبودليق –: العلواب، والبياضة، والترابيون، والحسبلاب، والكوقلاب، والفرحاب، والتوراب،والأروبجاب، والميسابين، والمطراب، والتراهنة، والنجمية، والضعيفية، وأولاد ود أب صالح.

1ابن خلدون، تاريخ،ج 6 ص266

وفي الجزيرة –:الكراديس والسعياب، والجرياب، والفضلاب، والمقيلاب، ويسكنون أيضا ودالسيد، وأبوجويلي، والهلالية، ومدني، والكاملين وأبيحراز[1].

عرف العالم الإسلامي ابتداء من القرن الثاني إلى الرابع الهجري تطورا عمرانيا كبيرا، ويعد تأسيس المدن أبرز سماته،وقد أصبح بعضها يمثل أكبر مدن العالم[2]. وقيل أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع مدن، كما يلاحظ أن التطور العمراني للعالم الإسلامي،قد حدث خلال فترة ازدهار الحضارة الاسلامية،واعتمد أساسا على الازدهار الاقتصادي الذي يكاد ينحصر في تلك الفترة على النشاط التجاري، وهو النشاط الذي يكمن وراء تطور المدن وانتشار شبكة المسالك التجارية البرية والبحرية معا[3].وفي هذا الصدد أشار ابن خلدون إلى العلاقة بين العمران والازدهار الاقتصادي حيث قال"ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"[4].وكان للمدن المغربية دور بارز في المبادلات التجارية بينها وبين بلاد السودان،بسبب ارتباطها بشبكة من المسالك التجارية ببلاد السودان.

ثانياً: تأثير التركيبة الديموغرافية:

ارتبطت التجارة بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان بنشر الإسلام،وتوطدت العلاقات التجارية بينهما بفضل فئة التجار التي لعبت دوراً أساسيا في هذه العلاقات،وكان المغرب الإسلامي قد ساهم في إحياء وازدهار بلاد السودان الواقعة ما وراء الصحراء الكبرى عمرانيا وتجاريا،كما ساهمت بلاد السودان أيضا بفضل

1محمد نصر مهنا، في السياسات العالمية والإستراتيجية، دراسة تحليلية، دار المعارف بالإسكندرية، 1983م، ص 215.

2د.الحبيب الجنماني: المغرب الإسلامي _ الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين (3 و 4هـ _ 9 _ 10 م)_الدار التونسية للنشر _الشركة الوطنية للنشر والتوزيع _الجزائر_1978_ص14

3محمد نصر مهنا، في السياسات العالمية والإستراتيجية، دراسة تحليلية، مرجع سابق،ص١٢٥

4عون الشريف، موسوعة القبائل والأنساب في السودان، الجزء السادس، افروجراف للطباعة والتغليف السودان، 1996 ص2349.

تصديرها للذهب والرقيق في تطور مدن المغرب الإسلامي،وقد أحدث النشاط التجاري حركة اتصال بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان خاصة في القرنين الثالث والرابع للهجرة،وكذلك تكاملا اقتصاديا،وكانت نتيجة المبادلات التجارية بين المنطقتين أن تغير المجتمع المغربي،وأصبح يضم عناصرجديدة تتمثل في عنصر السود الذي ساهم بدوره في التطور العمراني والاقتصادي للمغرب الإسلامي،وبمجرد أن بدأت بلاد المغرب تفقد حيوية المسالك التجارية بينها وبين بلاد السودان،تراجع نشاط المدن في المغرب الإسلامي وضعف عمرانها،وضعف دورها كحلقة وصل في المبادلات التجارية بين المشرق الإسلامي والأندلس من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى،وانخفض نموها الديمغرافي بسبب التدهورالاقتصاد المغربي وكذلك نهضة المغرب العمرانية،لأن تجارة الذهب والرقيق هي التي كانت وراء التطور والازدهار الاقتصادي والمالي والعمراني في بلاد المغرب،والمحرك الأساسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها.

ويؤكد ابن بطوطة أن إمبراطور مالي المانسي موسى "كان يحب البيضان، ويحسن إليهم، وهو الذي أعطى لأبي اسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال[...]، وأعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد". وقد استمرت هذه السياسة سارية المفعول خلال القرنين التاليين حسب شهادة الحسن الوزان. كذلك تقرب أغنياء الجالية المغربية من أغنياء الأرستوقراطية السودانية ومن الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية.

إن كبير "جماعة البيضان" محمد ابن الفقيه الجزولي "كان متزوجا ببنت عم السلطان". ونجد لاحقا أن ملك تمبوكتو "زوج اثنتين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما. وقد عمل بعض أفراد الجالية المغربية مستشارين في دواليب الإدارة السودانية المحلية وفي دائرة السلاطين السودانيين. فالقاضي والخطيب ابن الفقيه هم من أعلم المانسي سليمان بقدوم ابن بطوطة لمالي. كما قاموا بمهمة التحكيم بين

الزعامات السودانية المتصارعة؛ "وفي أيام إقامتي به [تكادا]، توجه القاضي أبو إبراهيم، والخطيب محمد، والمدرس أبو حفص، والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان تكادا وكان قد وقعت بينه وبين التكركري، وهو من سلاطين البربر أيضا منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما".

وبذلك يمكن القول أن دولة مالي كانت قد دخلت مرحلة جديدة في نموها عندما طور البلاط علاقاتها بالتجار والفقهاء المسلمين. وإذا كان ابن بطوطة في سياحته ببلاد السودان قد صدمته بعض العادات وأنف من بعض الأكلات السودانية في بعض المدن، فإن ذلك لم يكن حالة التجار الذين كانوا قد اعتادوا الحياة في هذه المناطق. ويظهر أن عدم تشدد السودانيين وانفتاح قيمهم ومبادئ الديانة الجديدة التي تبنوها قد ساهمت بلاشك في إدماج المغاربة في المجتمع السوداني، حيث تعايشت مبادئ الإسلام مع بقايا الديانة الأنيمية المحلية.

والواقع أنه كانت هناك علاقات وصداقات بين السكان المحليين والتجار المغاربة، حيث تزوج بعضهم حسب الشريعة الإسلامية؛ بينما اتخذ بعضهم الآخر ، الذي كان كثير التنقل بين المغرب وبلاد السودانـــ جوارٍ له.

ولقد تعلم المغاربة اللهجة السودانية؛ فيذكر الحسن الوزان أنه مع انتشار الإسلام بالسودان "بدأ تجار بلاد البربر حينئذ يذهبون إلى هذه البلاد ليتاجروا فيها حتى تعلموا لغاتهم". و"رجل من البيضان" هو الذي شرح (أو ترجم) لابن بطوطة فحوى بعض المحادثات التي جرت في البلاط السوداني[1].

1مسارات للرصد والدراسات الاستشرافية ، نورالدين اليزيد، مرجع سابق.

المحور الثالث: تأثير المغاربة على السمات الاقتصادية والثقافية في السودان:

أولاً: السمات الاقتصادية:

تطور المدن في المغرب الإسلامي:

قبل التطرق إلى العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان،لابد من تقديم توطئة تنظيرية تهدف إلى إبراز العلاقة الجدلية بين التطور العمراني والازدهار التجاري،وأثر ذلك في المكانة البارزة التي أصبح يحتلها المغرب الإسلامي في التجارة العالمية،وتنطلق هذه الرؤية التنظيرية من الواقع التاريخي والاقتصادي،فهي تسعى جاهدة إلى إكساب أوجه النشاط العمراني والتجاري الذي تعرضت إليه مصادر الجغرافيين والمؤرخين العرب،ويبدو في هذه الرؤية التنظيرية ضربا من ضروب التجديد في دراسة مميزات الحضارة العربية الإسلامية.إذ لا يمكن فهم أهمية دور المدن التجارية في المغرب الإسلامي والتي شهدت تطورا عمرانيا واقتصاديا ذا شأن خلال القرنين الثالث والرابع الهجري إلا في إطار نظرة شاملة لتطور المدن،وليس في نطاق نظرة ضيقة أي النظرة إلى المدينة باعتبارها وحدة مستقلة.

إن تطبيق هذه النظرة الجديدة لتاريخ المدن وتطورها يقتضي اعتبار مظهرين أساسيين: فالمظهر الأول يتجلى في ذلك التطور العمراني والديموغرافي الذي شهده العالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة، ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري وخاصة خلال القرنين الثالث والرابع الهجري،ويتصل بهذا التطور بروز شبكة من المسالك بعضها قديم وبعضها جديد،ولكنه اكتسب أهمية جديدة خلال عهد الازدهار العمراني في العالم الإسلامي، أما المظهر الثاني فيتمثل في ارتباط التطور العمراني وما يتصل به من قضايا متعددة بديناميكية اقتصادية في منطقة جغرافية واسعة وهامة كانت تشكل في تلك الفترة قلب مراكز التجارة

العالمية ومسالكها وقد أحدثت هذه الديناميكية حاجات اقتصادية جديدة،اكتسبت بينها بضاعتين أساسيتين هما الذهب وتجارة الرقيق[1].

ويلاحظ انه على تلك المحاور ذاتها كان التجار المسلمون الأوائل يتوجهون لعرض تجارتهم في بلاد السودان، كما يلاحظ أنه بالقرب من نهاية تلك الطرق توجد مراكز الدول السودانية الأولى "غانة، و جاو، و تكرور، و مالي"، مما جذب تجار بلاد المغرب إلي تلك المراكز .

وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية، إلا أن وجود اتصالات متنوعة عبر الصحراء الكبرى هو أمر مثبت من خلال سلسلة من النقوش الصخرية تظهر بها عربات تجرها الخيول. وتتبع هذه النقوش طريقا يبدأ من وادي درعه)[2]مرورا بإدرار[3]Adrara في موريتانيا الحالية لينتهي في الدلتا الداخلية لنهر النيجر. كما نجد طريقا آخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار – في الجزائر حاليا –ليصل إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو[4]Gao التي تعد أقدم حواضر السودان[5].

لقد ارتبط تطور التجارة،وتوطدت العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي بانتشار الإسلام،ولاسيما في المناطق الصحراوية من المغرب الإسلامي وبصورة خاصة

1المرجع السابق ص٢٣٤٩

2المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ، ص 155، ص 163، 164

3دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، مادة إدار، ص 533، 534.

4الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجمع الثقافي أبوظبى، الإمارات العربية 1999م، ص102

5Hunwickj,o : Les rapports intellectuals entre le Maroc et L; Afrique sub – saharienne a travers les ages, Publications de l' institut des Etudes Africaines, Rabat 1990 , P 8

في جنوب الصحراء إثر التطور الكبير والسريع الذي شهدته التجارة الصحراوية ابتداء من القرن الثالث الهجري وهي تعتمد أساسا على البضاعتين الأساسيتين في التجارة العالمية آنذاك وهي الذهب وتجارة الرقيق، فقد ظهرت تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة المؤسسة على طول المسالك التي كانت تربط بين الصحراء جنوبا وموانىء البحر المتوسط شمالا من جهة،وبين الصحراء والمشرق الإسلامي من جهة ثانية،وقد كانت فئة التجار المسلمين أنشط عناصر سكان تلك المراكز التجارية،ليس في النشاط التجاري فحسب بل في نشر الاسلام، لقد سمح الموقع الجغرافي للمغرب الإسلامي بتفتح تجاري وحضاري كبيرين، فمن المعروف أن الحوض الغربي من البحر المتوسط يتصل بأوسع منطقة جغرافية تشرف على الصحراء،فبعد الواجهة البحرية،توجد الهضاب الفاصلة بين الساحل والصحراء، وكان لهذا الموقع أثربالغ في تطور المسالك التجارية وتنوعها جنوبا شمالا وغربا شرقا، وكذلك في ازدهار تجارة الذهب والرقيق في بلاد المغرب،وقد أثر العامل الجغرافي تأثيرا واضحا في مساهمة المغرب الإسلامي في التجارة العالمية،وفي علاقاته الحضارية مع منطقة البحر المتوسط.

إن مدن المغرب الإسلامي في الواقع كانت مخازن لبضائع بلاد السودان لإعادة توزيعها في اتجاه صقلية والمشرق الإسلامي من شواطئ إفريقية أو في اتجاه الأندلس وأوروبا من سواحل مضيق جبل طارق[1].وقد أكدت الدراسات الحديثة* هذا الدور،والتي أقامت الدليل على تأثير ذهب السودان في السياسة النقدية لأوروبا الغربية والجنوبية،وفي التحول الجذري الذي بدأت تعيشه هذه المنطقة ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي[2].وإذا كان العالم الإسلامي أصبح يشكل وحدة عمرانية

1المرجع السابق ص٣٧٤

2محمد أحمد عبدالغفار: ورقة العلاقات السودانية المغربية، منتدى العلاقات السودانية المغربية، الرباط٢١ديسمبر٢٠١٢

واقتصادية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري،فإن طرق المواصلات التجارية وشبكة المسالك التجارية فيه تمتد من الجنوبي الغربي من بلاد السودان إلى أوروبا[1].

ويبدو أن التحول الذي طرأ على المسلك التجاري القديم الخاص بتجارة الذهب والرقيق بين بلاد السودان والمشرق،وخاصة الطريق التجاري الرابط بين غانة ومصر عن طريق بلاد النوبة بسبب ماكان يمثله من خطر على القوافل وكثرة عواصفه الرملية،أصبح هذا الطريق يمر ببلاد المغرب[2] جاعلا من القيروان وبلاد الجريد ووارجلان، وتاهرت وتلمسان وفاس وسجلماسة مراكز تجارية نشطة تتفرع منها مسالك فرعية،وتجمعت عن طريق التجارة الصحراوية ثروات كبرى من الذهب في مدن المغرب،وأصبح الدينار السجلماسي مثلا عملة قوية تجاوز التعامل بها حدود إمارة بني مدرار وبلغ الأندلس في عهد الخليفة عبدالرحمان الناصر،ومن أهم البضائع التي كانت في قائمة المبادلات التجارية بين المغرب الإسلامي ومراكز التجارة العالمية المتصلة بها في تلك الفترة الحبوب وزيت الزيتون واللحوم والقطن والخشب والملح. والتمور والعسل والسكر والزبدة والمرجان والعنبر والعطور والورق والمنسوجات والصوف والنحاس المصنوع والحديد والشمع والجلود والفرو،ومادة الزئبق التي كانت تستوردها المدن المغربية والتي اشتهرت بثروتها الذهبية من الأندلس لاستخدامها في صناعة الذهب،أما البضاعتان الثمينتان اللتان تكمنان وراء الثروات الكبرى التي تجمعت في مدن تجارية مثل أودغست وسجلماسة وتاهرت فهما الذهب وتجارة الرقيق،وهما محور التبادل التجاري بين

1. Claude Cohen:Histoire Generale des civilisations,t3,le moyen age,paris,1967,pp155 158 ،د.الحبيب الجنماني :المرجع السابق_ص18

2 ينظر إلى العبر ــ ج 6 ــبيروت ــ1959ــ ص418.

المغرب الإسلامي وبلاد السودان،فقد كانت سجلماسة تصدر إلى السودان أنواع التمور والزبيب والنحاس المصنوع ومنسوجات سجلماسة المشهورة[1].

بدأ البلدان في إرساء دعائم التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بعقد اتفاقية جمركية في يونيو عام1975م، تلتها اتفاقية أخرى خاصة بالملاحة التجارية والنقل البحري في يناير عام 1977م ثم اتفاقية ثالثة للنقل الجوي في يونيو عام 1978م.

ثانياً: السمات الثقافية:

إن إقامة المغاربة في أحياء خاصة بهم لا تعني انعزالهم أو ترفعهم عن المجتمع السوداني؛ فقد سجل ابن بطوطة حسن التعايش بين أهل السودان ومن يخالطهم من البيض، ومعظمهم من المغرب وباقي الشمال الإفريقي. ويمكننا التأكيد أن الجاليات المغربية في مدن السودان كانت مهمة من حيث المستوى الاجتماعي، وتمثلت في أسر تجارية أو علمية سكنت في مدن السودان، مؤقتا أو بصفة دائمة. فقد كانت الجالية المغربية تشمل، إلى جانب التجار، فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء، وحتى رجال الأدب والشعراء والمهندسين.

ولا يعرف بالتحديد تاريخ إقامة أفراد الجالية المغربية الذين يذكرهم ابن بطوطة؛ إلا أن بعض المؤشرات تؤكد أن عددا منهم لم يكن طارئا على البلاد، وإنما يمثل الجيل الثاني أو الثالث مثل مدرك بن فقوص، الذي على يد جده أسلم جد إمبراطور مالي مانسا موسى حسب رواية ابن بطوطة.

ومن خلال أسماء بعض المغاربة الذين تذكرهم المصادر، نلاحظ أن التجارة الصحراوية كانت تستقطب التجار من جميع أنحاء بلاد المغرب، وخاصة من المدن الكبرى. ويذكر البكري أبا بكر أحمد ابن خلوف الفاسي الذي استقر بغانة. ونعلم أن أخوي المقري (عبد الواحد وعلي) كانا يمثلان شركتهما العائلية "بولاتة".

1لقاء سفير السودان بالرباط بوزير الثقافة المغربي20، 9/2003 /9.

ويقول العمري إن أبا عثمان سعيد الدكالي (سكن مدينة بيتي [عاصمة إمبراطورية مالي] خمسا وثلاثين سنة). أما ابن بطوطة، فبالإضافة إلى كلامه عن "المغاربة" أو عن "البيضان"، وعن "التجار" بصيغة الجمع، فإنه يذكر أسماء عدد من المثقفين والتجار المغاربة المقيمين في مختلف مدن السودان. إلا أن تلك الأسماء لا تترجم في الواقع إلا جزئيا حقيقة الوجود التجاري المغاربي ببلاد السودان وكثافة هذا الوجود.

ومع ذلك، لابد من أن نلاحظ أن الجاليتين المغربية والمصرية كانتا متساويتين من حيث الأهمية بالعاصمة المالية، حيث كانت "جماعة البيضان" بها خاضعة لقيادة شخصين من كبار القوم؛ الأول مغربي كما تدل على ذلك نسبته لقبيلة جزولة، وهو محمد بن الفقيه الجزولي؛ والآخر مصري هو شمس الدين بن النقوش المصري. إلا أن ابن بطوطة "يربط حديثه عن المصريين باشتغالهم بالتجارة، ولا يذكر اشتغال المغاربة بها إلا في القليل النادر، ويجعل وجودهم هناك مقرونا بالاشتغال بالقضاء والتدريس وكل ما يتصل بالحياة الثقافية"؛ فبجانب التجار المحترفين يظهر أن الفقهاء والقضاة ورجال الأدب الذين أقاموا بالسودان الغربي قد تعاطوا التجارة هم كذلك. ويصعب الجزم بأنهم كانوا يقتصرون في نشاطهم على الوظائف الرسمية. فمهما كانت الرواتب التي تدرها عليهم تلك الوظائف، فإنهم بلا شك كانوا ميالين إلى ممارسة الأعمال التجارية المربحة التي تفسر وحدها عبورهم للصحراء والإقامة في بلاد بعيدة مثل السودان. فقد كانوا وكلاء للشركات الموجودة بالمغرب أو وسطاء بين المغاربة والسودانيين. إن الجمع بين التجارة والعلم هو إحدى خصائص الحضارة الإسلامية في جميع العصور[1].

ونعلم أنه لم تكن هناك اتفاقيات تجارية أو معاهدات تقنن العلاقات التجارية بين المغرب وممالك السودان، وتحدد واجبات وحقوق التجار المغاربة بالسودان؛ كما

1 مسارات للرصد والدراسات الاستشرافية ، نورالدين اليزيد، مرجع سابق

هو الحال بين البلدان الإسلامية والبلدان المسيحية. ويظهر أن الإسلام الذي نسج خيوط مختلف الروابط بين ضفتي الصحراء، هو أصل عدم وجود تلك الاتفاقيات. وهذا يفسر كذلك تلك التسهيلات التي منحها ملوك السودان للمغاربة، والتي دفعتهم لتنشيط الحركة التجارية والمساهمة في مداخيل الخزينة السودانية. لذلك نجد السلطة المحلية تعمل على ضمان حمايتهم وتعاقب جميع المضرين بمصالحهم أو بأمنهم، وتسهل حرية تنقلاتهم[1].

يؤكد ابن بطوطة أن إمبراطور مالي المانسا موسى »كان يحب البيضان، ويحسن إليهم[2]، و »هو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال [...]، وأعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد. وقد استمرت هذه السياسة سارية المفعول خلال القرنين التاليين حسب شهادة الحسن الوزان[3]. كذلك تقرب أغنياء الجالية المغربية من أغنياء الأرستقراطية السودانية ومن الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج[4] والارتباطات العائلية. إن كبير» جماعة البيضان «محمد ابن الفقيه الجزولي» كان متزوجا ببنت عم السلطان[5]. ونجد لاحقا أن ملك تمبوكتو» زوج اثنتين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما[6].

وقد عمل بعض أفراد الجالية المغربية مستشارين في دواليب الإدارة السودانية المحلية وفي دائرة السلاطين السودانيين. فالقاضي والخطيب ابن الفقيه هم من أعلم المانسي سليمان بقدوم ابن بطوطة لمالي[7]. كما قاموا بمهمة التحكيم بين الزعامات

1 سبتة الإسلامية: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، تطوان، 1995، ص. 12

2 رحلة بن بطوطة، ص. 688.

3مرجع سبق ذكره، ص689

4المصدر السابق نفسه

5الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، ج 2، 1983.

6ابن بطوطة، المصدر المذكور، ص. 681.

7الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر المذكور، ج 2، ص. 166.

السودانية المتصارعة: »وفي أيام إقامتي به [تكادا]، توجه القاضي أبو إبراهيم، والخطيب محمد، والمدرس أبو حفص، والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان تكادا وكان قد وقعت بينه وبين التكركري، وهو من سلاطين البربر أيضا منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما[1]. وبذلك يمكن القول إن دولة مالي كانت قد دخلت مرحلة جديدة في نموها عندما طور البلاط علاقاتها بالتجار والفقهاء المسلمين.

وإذا كان ابن بطوطة في سياحته ببلاد السودان قد صدمته بعض العادات وأنف من بعض الأكلات السودانية في بعض المدن، فإن ذلك لم يكن حال التجار الذين كانوا معتادين الحياة في هذه المناطق. ويظهر أن عدم تشدد السودانيين وانفتاح قيمهم ومبادئ الديانة الجديدة التي تبنوها قد ساهمت بلا شك في إدماج المغاربة في المجتمع السوداني، حيث تعايشت مبادئ الإسلام مع بقايا الديانة الأنيمية المحلية. والواقع أنه كانت هناك علاقات وصداقات بين السكان المحليين والتجار المغاربة، حيث تزوج بعضهم حسب الشريعة الإسلامية؛ بينما اتخذ بعضهم الآخر الذي كان كثير الانتقال بين المغرب وبلاد السودان ــجوارٍ له. ولقد تعلم المغاربة اللهجة السودانية: يذكر الحسن الوزان أنه مع انتشار الإسلام بالسودان، »بدأ تجار بلاد البربر حينئذ يذهبون إلى هذه البلاد ليتاجروا فيها حتى تعلموا لغاتهم[2]. و»رجل من البيضان«هو الذي شرح (أو ترجم) لابن بطوطة فحوى بعض المحادثات التي جرت في البلاط السوداني[3].

إن الامتيازات التي كان يحصل عليها المغاربة لم تمنع ملوك السودان، في ظروف نجهلها، من اعتقال التجار المغاربة ومنع نشاطهم. مثلا، عند نهاية القرن 12 م عرفت العلاقات السودانية المغربية أزمة من مظاهرها رفض الخليفة المنصور

1ابن بطوطة، المصدر المذكور، ص. 682.

2المصدر نفسه، ص. 698.

3الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص. 160.

الموحدي» هدية من بلاد السودان« عبارة عن فيل. إننا لا نعرف أسباب تلك الأزمة، وهناك من يرجح أنها مرتبطة بما كان يتعرض له المغاربة من مضايقات من طرف حكام السودان1. فعلى أثر اعتقال ملك السودان بعض التجار المغاربة وسجنهم، وجه الأمير أبو الربيع سليمان والي سجلماسة وأقاليمها مذكرة احتجاج شديدة اللهجة إلى ملك غانة يستنكر فيها العراقيل التي توضع في وجه صغار التجار المغاربة و»تعويقهم«، مذكرا إياه بأن اختلاف الاعتقاد الديني بين الجانبين لا يمنع من حسن الجوار ومن حسن التعايش: »نحن نتجاور بالإحسان وإن تخالفنا في الأديان«، وأنه يمكن معاملة التجار السودانيين الموجودين بالمغرب بالمثل: »لو شئنا، لاحتبسنا من في جهتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله2.

هناك بعض العوامل المهمة التي تضافرت وساهمت في تشكيل البناء الاجتماعي والثقافي وقد تأثرت بجوانب عدة من خلال تداخلها معها، ومنها التكوين الايدولوجي للمنطقة الذي يمثل تباين البيئة المناخية. الأمر الذي ساهم بدوره في تكوين التركيبة الإثنية ذات الطابع الهجني الناتج عن تداخل العنصر العربي المسلم الوافد بالعنصر الإفريقي المحلي السوداني .هذا بالإضافة إلى مساهمته في تحديد النشاطات الاقتصادية للسكان فيما يعرف بسبل كسب العيش والتي تتمركز حول أكبر قطاعين إنتاجيين هما الرعي والزراعة بصورة التقليدية والذين تمارس من خلالها بعض النشاطات الإنتاجية الجانبية الأخرى.

1ابن بطوطة، المصدر المذكور، ص. 688

2إبراهيم حركات، »طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط«، ضمن كتاب: العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،

أثرت الصلات التجارية والدبلوماسية بالإضافة إلي الهجرات البشرية في انتشار الإسلام واللغة العربية والذين اتسما في انتشارهما بالطابع السلمي في إطار تفاعلهما مع اللغات والموروثات المحلية . الأمر الذي أدى إلى تكوين الهجين الثقافي الذي تغلب عليه الثقافة العربية الإسلامية والتي تتجلى مظاهرها في الموروثات الشعبية كالسبر واللهجات والعادات والتقاليد والقيم والمفاهيم السلوكية والأخلاقية 1.

حيث التعاون الثقافي فكان البلدان قد وقعا اتفاقيه للتعاون الثقافي عام 1977م. وكان التعامل الثقافي خال طيلة الفترة يمثل الجانب المشرق للعاقات بين البلدين حيث قدم المغرب إلى السودان آلاف المنح الدراسية على المستوى الجامعي وفوق الجامعي ولم يتوقف الطلب على المنح المغربية إلا بعد ثورة التعليم العالي التي تم بموجبها إنشاء العديد من الجامعات والمعاهد الحكومية في السودان.

شمل التعاون الثقافي تبادل الأساتذة المتخصصين في المجالات التي يحتاجها الطرفان بموجب اتفاقية عقد عام 1983م، وتم التأكيد عليها في اجتماعات الدورة الثالثة باللجنة الوزارية المشتركة عام 1995م لوضع برامج للتعاون التقني والعلمي والتعاون في مجال الشباب والرياضة.

الخاتمة:

من الدراسة السابقة اتضح أن هنالك علاقات بين المجتمعات السودانية والمغربية غير الرسمية القائمة على القرابة والجيرة وربما الأثنية العربية أو المذهبية ، والنشاطات غير الرسمية تلعب أدواراً مؤثرة على الحياة السياسية لهذه التجمعات ويسهم الكثير من التجمعات او الخلايا في حل المشكلات المعيشية لقطاعات واسعة

1.(دراسات في التراث بغرب السودان، د.سليمان يحي محمد، http://sustech.edu/cenins_en/index.php، مركز دراسات وثقافة الإسلام)

من السكان. كما أن العلاقات الاجتماعية بين المغاربة والسودان جعلت النظم الاجتماعية ذات قابلية للاستمرار و هذه التحركات نسجت علاقاتها من داخل هذه التجمعات وخارجها وفق معطيات حديثة وأخرى تقليدية ، الأمر الذي يتيح لها قدر من التواصل مع التجمعات السكانية.

وأخيرا توصلت الدراسة إلى أن الصلات التي ربطت بين بلاد المغرب والسودان الغربي قديمة ومتنوعة، أعان عل هذه الصلات المسالك الصحراوية التي يسرت الاتصال بين المنطقتين. وقد مهدت تلك المسالك السبل أمام التجار، والفقهاء، والدعاة، لارتياد المدن والمناطق السودانية لنشر الإسلام وثقافته، وسوف تمكننا معرفة تلك الصلات المتنوعة من رصد المرحلة المبكرة من مسيرة الإسلام في السودان.

النتائـــــج:

الفرضية الأولي: هنالك دلالة تاريخية بين السودان والمغرب ارتبطت بالعلاقات الاقتصادية:

بدأت الروابط بين بلاد المغرب الأقصى والسودان بدءا من القرن الخامس عشر وتمحورت في هجرات المغاربة من بلادهم إلى الحج لبيت الله عبر السودان ومن ثم انتشار الإسلام الذي أدي بدورة إلى منافع للتجار المسلمين الأوائل الذين يتوجهون لعرض تجارتهم في بلاد السودان، كما يلاحظ انه بالقرب من نهاية تلك الطرق توجد مراكز الدول السودانية الأولي "غانة، و جاو، و تكرور، و مالي"، مما جذب تجار بلاد المغرب إلي تلك المراكز .

الفرضية الثانية: استقرار المغاربة اثر علي التركيبة الديموغرافية في السودان:

تكوين عدد من القبائل السودانية ذات أصول مغربية وذلك يظهر من خلال الملامح والدماء وأثبتت الدلالات لابن خلدون أن هنالك دلائل واضحة للوجود المغربي في السودان وذلك من خلال الفترة التي بدت بها السودان توطيد علاقاتها مع سلالات

حكمت بلاد المغرب الأقصى مثل دولة المرينية (668-961هـ/ 1258-1420م) والدولة الوطاسية (876-961هـ/1471-1553م) و دولة الأشراف السعديين (915-1069هـ/1510-1658م) ومنها.

إستمرت العلاقات السودانية المغربية حتي تكونت معاقل حقيقية لقبيلة المغاربة بالسودان، وتكونت عدد من القبائل المغربية بالسودان المعروف منها بالحسوباب، والكراديس، والجدياب، والفضلاب، والعبيدات، والكريشاب، والنوراب، والديبياب، والردوساب.

مما لا شك فيه أن الكثير من أبناء المغرب استوطن مدن السودان الغربي، وقد وصلت الإقامة لفترات طويلة، ولطول الإقامة كانت تحدث المصاهرة بين العناصر المغربية الوافدة والسكان المحليين فقد أكد ابن بطوطة أن استمرار السياسات والعلاقات بين المغرب والسودان حيث كان تقرب أغنياء الجالية المغربية من أغنياء الأرستقراطية السودانية ومن الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية.

الفرضية الثالث: أثر التواصل المغربي في النواحي الثقافية والاجتماعية في السودان:

هنالك ثقافات مكتسبة من التراث المغربي انعكست علي الثقافة السودانية حيث الجالية المغربية تشمل التجار، فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء، وحتى رجال الأدب والشعراء والمهندسين.

فقد سجل ابن بطوطة حسن التعايش بين أهل السودان ومن يخالطهم من البيض، ومعظمهم من المغرب ويمكننا التأكيد أن الجاليات المغربية في مدن السودان كانت مهمة من حيث المستوى الاجتماعي فقد تضافرت عدة عوامل ساهمت في تشكيل البناء الاجتماعي والثقافي وقد تأثرت بجوانب عدة من خلال تداخلها معها، وأيضا دخول الإسلام واللغة العربية والذين اتسما في انتشارهما

بالطابع السلمي في إطار تفاعلهما مع اللغات والموروثات المحلية . الأمر الذي أدى إلى تكوين الهجين الثقافي الذي تغلب عليه الثقافة العربية الإسلامية والتي تتجلى مظاهرها في الموروثات الشعبية كالسبر واللهجات والعادات والتقاليد والقيم والمفاهيم السلوكية والأخلاقية.

التوصيـــــات:

1- الاستفادة من الإرث الثقافي وأخذ كل الايجابيات وعكسها على المجتمع السوداني.
2- العمل على إقامة مهرجانات مشتركة لعكس التراث المغربي والسوداني في الدولتين.
3- توسيع العلاقات الاقتصادية والتعاون الدولي المشترك بين الدولتين لتعزيز شراكة تطمح لترقية المستوي الاقتصادي بين الدولتين.

دراسات المستقبل:

- واقع تاريخ العلاقات السودانية المغربية وتأثيرها على العلاقات الدبلوماسية المستقبلية.
- تطوير السمات الاقتصادية والثقافية لتقوية الروابط الأزلية السودانية المغربية.
- تقييم مدي تأثير الهجرات المغربية على المذاهب الدينية في السودان.

المراجع والمصادر:

1- إبراهيم حركات، »طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط«، ضمن كتاب: العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
2- ابن خلدون، تاريخ، ج 6 ص266
3- ابنعذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب حققه م .س . كولانول . برفنسال) بيروت (1948 ج 1 ص21

4- أحمد الشكري، مقارنة تقييميه لدور الصحراء في علاقات بلاد المغرب ببلاد السودان خلال العصر الوسيط«، مجلة المناهل (المغرب)، عدد 58، مارس 1998، ص ص. 62 ــ 71)
5- الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجمع الثقافي أبو ظبى، الأمارات العربية 1999م، ص102
6- حبيدة محمد، الديمغرافية التاريخية من الإجرائية الكمية إلى المقاربة الكيفية وجد، الديمغرافيا في تاريخ المغرب،مجلة كنانيش (مجلة متخصصة في الديمغرافيا التاريخية)، إعداد مصطفى نشاط ومحمد استيتو، العدد الأول /1999، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الأول . ص11.
7- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، ج 2، 1983، ص.
8- د.الحبيب الجنماني: المغرب الإسلامي_الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين(3و4هـ_9_10م)_الدار التونسية للنشر_الشركة الوطنية للنشر والتوزيع _ الجزائر _ 1978_ ص14
9- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، مادة إدار، ص 533، 534.
10- دراسات في التراث بغرب السودان، د.سليمان يحي محمد،http://sustech.edu/cenins_en/index.php، مركز دراسات وثقافة الإسلام.
11- رحلة بن بطوطة، ص. 688.
12- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، تحقيق المنجي الكعبي) تونس، 8196ص45
13- سبتة الإسلامية: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، تطوان، 1995، ص 120.

14- عبد الرحمن قدوري ــ قسم التاريخ جامعة تلمسان، علاقات السياسية المغربية مع بلاد السودان الغربي في القرنين 15و16م، 11:39:20 2012 Jul 11)
15- العبر ــ ج 6 ــبيروت ــ1959ــ ص418.
16- عون الشريف، موسوعة القبائل والأنساب في السودان، الجزء السادس، افروجراف للطباعة والتغليف السودان، 1996، ص2349
17- محضر لقاء سفير السودان بالرباط بوزير الثقافة المغربي20، 9/2003 /
18- محمد أحمد عبدالغفار: ورقة العلاقات السودانية المغربية، منتدى العلاقات السودانية المغربية، الرباط 21 ديسمبر2012.
19- محمد نصر مهنا، في السياسات العالمية والإستراتيجية، دراسة تحليلية، دار المعارف بالإسكندرية، 1983، ص 215.
20- محمدنصرمهنا،فيالسياساتالعالميةوالإستراتيجية،دراستحليلية،دارالمعارفبالإسكند رية،١٩٨٣ص١٢٥
21- مسارات للرصد والدراسات الاستشرافية ، نورالدين اليزيد، قبيلة المغاربة..القبيلة الوحيدة بالسودان التي تُنسب لأصول أهلها، Html .قبيلة-المغاربة - بالسودان/www.massarate.ma 2012.
22- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ، ص 155، ص 163، 164
23-Claude Cohen:HistoireGenerale des civilisations,t3,le moyen age,paris,1967,pp155 15818 ،د.الحبيب الجنماني:المرجع السابق_ص
24-Hunwickj,o : Les rapports intellectuals entre le Maroc et L; Afrique sub – saharienne a travers les ages, Publications de l' institut des Etudes Africaines, Rabat 1990 , P 8